

## الضوابط الاجتماعية والسلوكيات الدخيلة

د. لطيفة الكندري

عضو هيئة التدريس في كلية التربية الأساسية

شاركت الدكتورة لطيفة الكندري مستشارة المركز شبه الإقليمي للطفولة والأمومة ورئيس فريق منتدى الحوار التنموي في حلقة نقاشية تحت عنوان "الضوابط الاجتماعية وتعديل السلوكيات الدخيلة" وذلك ضمن فعاليات الاحتفال بمرور 60 عاما على إنشاء اليونسكو التي نظمتها اللجنة الوطنية الكويتية وذلك يوم الثلاثاء الموافق 25 / 4 / 2006 م.

ذكرت الدكتورة لطيفة أن مفهوم الضبط الاجتماعي Social Control هو تماسك اجتماعي يؤهل جميع أفراد المجتمع للقيام بأدوارهم وتحقيق أهدافهم وفق المعايير السائدة المنظمة لحركة الأفراد ضمن دائرة القانون والقيم والعادات والتقاليد والأعراف. وأشارت المحاضرة إلى بعض عوامل الضبط الاجتماعي منها:

- الدين وهو أهم وأعظم الأركان الكفيلة بتنظيم شئون البشر.
- الأخلاق وهي منظومة تنبثق من الدين وطبيعة المجتمع.
- الرقابة الذاتية وهي كبت الشهوات ومجاهدة النفس واستحضار عظمة الله وقدرته.
- العرف وهو ثمرة تجارب الناس فيرتضون أعرافهم وفق معتقداتهم ومصالحهم وأنشطتهم .
- الرأي العام الذي يتشكل من تراكمات وتفاعل المواطنين والمقيمين.
- القانون الذي يؤخذ شكل القوة والسلطة التي تردع المخالفين وتكفل الحقوق للجميع وتوفر الأمن.

ولقد أكدت المحاضرة على مقولة أنه ليس كل دخيل يستراب فيه فالحذر مطلوب والإفراط مذموم فهناك فنون وممارسات وعادات وسلوكيات دخيلة ولكنها مقبولة ويستفاد منها في تلبية احتياجات المجتمع من مثل اقتباس الإبداعات وتطويرها في ميدان المسرح والفنون والرياضة والموضة، صالات الأفراح، اللوائح والقواعد المرورية... طالما أنها لا تتعارض مع ضوابطنا الاجتماعية. كما حذرت المحاضرة من قابلية التقليد الأعمى الذي يسبب الضعف الاجتماعي. ومن أشهر المفاهيم التي أطلقها المفكر الجزائري مالك بن نبي (1905 م - 1973 م) "قابلية الاستعمار" وهو بمعنى الضعف الحضاري الذي أصاب العرب والمسلمين في العصور الأخيرة مما جعل عدوهم يتغلب عليهم ويحتل نظامهم ويحتل بلادهم ويفرض عليهم مدنيته. ويعتبر المفكر مالك بن نبي من رواد الإصلاح في العالم الإسلامي، ومن جاءوا بأفكار عميقة تعالج مسألة النهوض الحضاري.

وفرت د. لطيفة بين الضبط الاجتماعي وبين الكبت القمعي فبينت أن الضبط عملية تنظيم أما الكبت فهو منع وقهر وسلب للحرية فعلى سبيل المثال فإن الحديث عن الجنس والمتعة غير مذموم إذا

كان في حدود الحشمة وفي إطار الأدب والسبب وجيه وغرض تعليمي. وذكرت المحاضرة أن من مظاهر الضبط الاجتماعي هو حماية القانون والقيم والعادات أما بالنسبة للكبت الاجتماعي فإنه ينتج من التزم والشدة وأكدت الدكتورة لطيفة على الوسطية والاعتدال في التعامل مع الأبناء والبنات لأن الإفراط في الحزم والشدة ظلم مبین، والإفراط في اللين ضعف مهين.

وركزت الدكتورة على أهداف الضبط الاجتماعي وهي:

- تعزيز الوعي الديني الصحيح وتكريس القيم في المجتمع .
  - تقوية العلاقة بين وسائط التربية في التنشئة الاجتماعية وتقديم كل ما هو مناسب لضبط سلوك الأفراد في المجتمع.
  - الاهتمام بثقافة المجتمع والقيم السائدة ونبذ الخرافات.
  - المحافظة على الأمن والأمان, ومحاربة الفساد والرشوة والانحراف في مؤسسات المجتمع.
- وبينت المحاضرة وظيفة الضبط الاجتماعي إذ يعمل على تنظيم السلوك الفردي في إطار الجماعة التي يعيش معها للحفاظ على الاستقرار والنظام في المجتمع.
- وتطرقت في حديثها إلى أهم المشاكل لدى الأطفال والمراهقين (الغيرة, العناد, الانطواء, التمرد, التقليد الأعمى, التدخين...) كما تناولت بعض العوامل التي تساعد على ظهور سلوكيات ومشاكل دخيلة من مثل تعاطي المخدرات, والاستخدام السلبي للتكنولوجيا, والاعتماد الكلي على المربيات الأجنبية. وبينت المحاضرة بعض الإحصائيات الخاصة بإدمان المخدرات عالميا ومحليا فأشارت إلى الأرقام التالية:

- في العالم اليوم نحو 200 مليون مدمن.
- أكثر من 70 % منهم هم من المدخنين للسجائر.
- 82 % لهم تجربة سابقة مع تعاطي الخمر.
- تحتل تجارة المخدرات على 8% من حجم التداول في التجارة العالمية بما يقارب 400 مليار دولار.
- قد ينجح أكثر من 85 % من التجار في تهريب وترويج بضائعهم المدمرة.
- تعاني 134 دولة من ظاهرة إدمان المخدرات وتتعامل قرابة 170 دولة بالمخدرات تجاريا.
- في الكويت ورغم الجهود الحثيثة لعلاج المشكلة فإن هناك 20 ألف مدمن على المخدرات ويموت أكثر من أربعين شخصا سنويا بسبب هذا السم الزعاف وكثير منهم في ريعان الشباب.
- أن معظم المتعاطين من المتزوجين وأكثر من 90 % أخذوا الحبة الأولى مجانا من أصحاب السوء وغيرهم .

• معظم المدمنين تقع أعمارهم ما بين 17 إلى 40 سنة و40% من المدمنين السجناء يقلعون نهائيا عن المخدرات.

لا شك أن تلك الأرقام لا تعكس الحقيقة كلها وقد يكون المخفي أعظم. وذكرت المحاضرة أن هناك جملة من الأسباب تؤدي إلى مشاكل سلوكية عند الطفل والمراهق منها:

• تقليد الآخرين والإقتداء بسلوكهم الذي يشاهده من (الوالدان-الإعلام-الأصدقاء-المدرس).

• الإحباط والحرمان والقهر الذي يعيشه.

• تفسخ رباط القيم من مثل عدم احترام الأكبر سنا وعلما وفضلا.

• التساهل في تطبيق القوانين وعدم تدريب الطفل على ذلك من احترام قوانين الأسرة والمدرسة.

• الصورة السلبية للأبوين في نظرهم لسلوك الطفل والمراهق (أنت دائما مشاغب- ولدي عنيد- انطوائي).

• الأفكار الخاطئة التي تصل لذهن الطفل والمراهق عندما يفهم أن الطفل القوي الشجاع هو الذي يصرع الآخرين ويأخذ حقوقه بيده لا بالحسنى. والجهل بالقواعد الفقهية من مثل (لا يزال الضرر بمثله).

• انتشار القنوات الفضائية ذات البرامج الإباحية أو المناظر المخلة بالآداب.

وركزت الدكتورة لطيفة على تقسيم اتجاهات الأسر ثقافيا حيث ذكرت أربعة اتجاهات وهي:

• أسر ذات ثقافة ايجابية تعد العدة لمواجهة الأخطار المتفشية بالاجتماع فتحذر الأبناء والبنات من خبث السلوك السليبي بانتظام ومن باب الوقاية تحتاط تمام الاحتياط كي لا تنقاد النفوس إلى السقوط في المستنقعات الآسنة والعاقل لا يتبع خطوات الشيطان فضلا عن الشيطان نفسه. ثقافة هذه الأسر الكريمة أشبه ما تكون بفصيلة الدم (O+) عندها القدرة على نفع غيرها وتحتاج إليه الفصائل الأخرى فيحق لها أن تتبرع لها فتنفعها.

• أسرة ذات ثقافة سلبية لا تبذل الأسباب المطلوبة لحماية مستقبل الأبناء أخلاقيا بل تسعى لتحقيق مكاسب مادية وتحصيل اللذات بدون ضوابط وتعطي حريات شبه مطلقة لأفرادها في السهر والسفر والتنقل وتفرط في الثقة بأبنائها وبناتها وترفع عنهم دفع المتابعة وبصيرة التوجيه. إن الذي يثق بأسرته لا يتركهم مع صحبة سيئة وكم من غرور أغرق أصحابه؟ وكم من إهمال أهلك صاحبه؟

- أسرة ذات ثقافة صامتة مشغولة بأمور الدنيا لا تهتم كثيرا بمحاربة السلوكيات الدخيلة ولا تشغل نفسها بتحسين أفرادها ومجتمعها ضدها.
- أسر ذات ثقافة متقلبة تارة تنهج نهج الانفتاح التام فتترك المجال لأفرادها في تحديد سلوكياتهم وتوجهاتهم وتارة أخرى توازن بين الأمور وتتابع المجرىات وتحاول تقويم السلوكيات وهذه الأسر تنقصها خبرات الحزم في الأمور وغياب الأهداف والحرص على قيم الصحة والدين.
- وأشارت الدكتورة في محاضرتها إلى أهم التوصيات المعينة على تحقيق الضبط الاجتماعي:
- تطبيق خلاصة المؤتمرات والحلقات النقاشية الخاصة بقضايا الأسرة وتحويل توصياتها إلى واقع ملموس.
- إعادة الهبة لتطبيق القوانين ونشر مقاصدها وبيدأ تدريب الطفل على ذلك من احترام قوانين الأسرة والمدرسة.
- فتح قنوات الحوار مع شريحة الشباب على المستويين الأسري والمجتمعي لتلبية حاجياتهم، ورعاية مواهبهم، ومعرفة معاناتهم.
- حث الإعلام على انتقاء برامجها وفق منظور تربوي واضح وراسخ والتحذير من الإعلام الماجن الموجه إلى شريحة الشباب وغيرهم.
- إتاحة الفرص الكافية لتوظيف الشباب وغيرهم فإن البطالة من أسباب الانحراف والقلق الاجتماعي وكما قال بعضهم البَطَالَةُ أُمُّ الرُّذَالِ.
- إجراء الدراسات الميدانية عن السلوكيات السلبية في المجتمع بغرض رصدها وإصلاح المسار.
- إيجاد مؤسسات متخصصة لرصد المشاكل السلوكية لدى الأطفال والمراهقين، والعمل على التعامل معها بصورة منظمة.
- غرس مفهوم المهارات الحياتية (التسامح، احترام الآخرين، الصداقة، المساواة، الحوار الإيجابي، الاعتذار، الاعتراف بالخطأ... الثقة والتحكم بالنفس. في نفوس الأبناء والبنات).
- العمل على الحد من جلب المربيات الأجنبية وإنشاء حضانات متخصصة في أماكن العمل لرعاية أطفال النساء العاملات .
- وختتمت الدكتورة لطيفة محاضرتها بالتشديد على أهمية احترام القانون منذ الصغر في البيت والمدرسة وأشدت بأخلاقيات الأجداد في المجتمع الكويتي قديما الذي اعتاد على أن يحل مشاكله سلميا وينبذ الغلظة والفوضى. ولا بد من تعزيز قيم العفة والتعاون والتدين السليم والتلاحم والتراحم وهي سمات ترجمها الكويتيون قديما وجدير بالأحفاد أن يسيروا على خطى الأجداد في تنظيم حياتهم.

ولقد بذلت المؤسسات المجتمعية جهودا كبيرة في تعزيز الضوابط الاجتماعية ونحمد الله تعالى على نعمه الكثيرة وآلائه العظيمة فلا نجد في بلدنا الحبيب من يجاهر في المعصية أو يعلن عن الفساد والانحراف فالخمر والقمار والخلاعة وكل ما يخل بالآداب ممنوعة قانونا وقناعة. إن العادات الحسنة ونبت السلوكيات السلبية أوجدت الارتياح النفسي للأسرة الكويتية وكلما كانت الآداب عفيفة أصبحت الأفكار حصيفة، والتربية حصينة، والسلوكيات مستقيمة.